

أضواء البيان

7 ! @ 218 @ 7 ! قوله تعالى : { وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْ رَاهُْمُ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ } . لم يبين هنا هذا الذي أجمعوا أمرهم عليه ، ولم يبين هنا أيضاً المراد بمكرهم . ولكنه بين في أول هذه السورة الكريمة أن الذي أجمعوا أمرهم عليه هو جعله في غيابة الجب ، وأن مكرهم هو ما فعلوه بأبيهم يعقوب وأخيه يوسف . وذلك في قوله : { فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ } إلى قوله { وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَي مَا تَصِفُونَ } . . .
وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم . لأنه أنزل عليه هذا القرآن ، وفصل له هذه القصة . مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن حاضراً لدى أولاد يعقوب حين أجمعوا أمرهم على المكر به ، وجعله في غيابة الجب . فلولا أن الله أوحى إليه ذلك ما عرفه من تلقاء نفسه . . .

والآيات المشيرة لإثبات رسالته ، بدليل إخباره بالقصص الماضية التي لا يمكنه على حقائقها إلا عن طريق الوحي كثيرة . كقوله : { وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلَاقُونَ أَقْوَامَهُمْ أَيْسُهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً } . . .
وقوله : { وَ مَا كُنْتَ بِرَجَانِبِ الْغَرْرِ بِيٍّ إِذْ قَضَيْتَ إِِلَى مُوسَى الْأَمْرَ } . . .

وقوله : { وَ لَ كِنْدِ آ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَ لَ كِنْدِ آ كُنْدِ آ مُرْسَلِينَ } . . .

وقوله : { وَ مَا كُنْتَ بِرَجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَ كِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ } . . .

وقوله : { مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنِي } . . .

وقوله : { تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَآ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَآذِآ } . إلى غير ذلك من الآيات . . .

فهذه الآيات من أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم ، رسول كريم ، وإن كانت المعجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر . قوله تعالى : { وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ } . قال ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وعامر

الشعبي ، وأكثر المفسرين : إن معنى هذه الآية أن أكثر الناس ، وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته . . .
فالمراد بإيمانهم اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم ومدبر شؤونهم ، والمراد بشركهم عبادتهم غيره معه ، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً ، كقوله : { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رُضًا أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَيِّتِ